ما بواعث التكفير ؟ وما أسباب وقوع التفجير ؟!

بقلم د. ناصر بن عبد الرحمن الخنين ؛ عصر الثلاثاء : ١٤٣٦/٩/١٣ هـ

يتساءل كثير من الفضلاء ؛ عن بواعث التكفير لدى بعض الفئات من الشباب ؛ كما يرد التساؤل أيضا عن أسباب وقوع التفجير والانتحار من قبل من تمكنت منه فتنة التكفير من الشباب !!

لا مرية في أن هذا الفكر التكفيري الخارجي ضال منحرف عن أصول معتقد أهل السنة والجماعة ؛ القائم على نصوص صريحة في القرآن الكريم ، وأحاديث صحيحة في السنة المطهرة ؛ نتج عنهما فهم سليم مستقيم جامع ومتوازن من قبل المعتبرين من سلف الأمة من المتقدمين والمتأخرين ؛ نجى الله بفضله ، ثم به السواد الأعظم من أمة محمد صلى الله عليه وسلم من آفة الغلو و انحراف و الشطط والتذبذب وانفلات ؛ إفراطا أو تفريطا...

وأحسب أن عنق الزجاجة في انحراف نحو الغلو و التساهل بإطلاق التكفير في زماننا هذا ، وانخراط بعض مكفرة الغلاة في آتون التفجير والتدمير والتسلط على حاضرة المسلمين بالذات دون غيرها ، وإن امتد إلى جهات خارجها؛

أقول إن من أهم البواعث المسببة لذلك ما يلي :

١- جور الأعداء على بلدان المسلمين ، وتنامي ذلك وتصاعده ، في فلسطين من قبل اليهود المغتصبين ، ثم في أفغانستان من قبل اتحاد السوفيتي الشيوعي المنحل ، والتداعيات التي أعقبت هذا اعتداء المستفز الغاشم ؛ الذي ترتب عليه إحياء شرعة الجهاد وإظهار رايته على يد مجموعات من الشباب من هذه البلاد وغيرها ؛ فاندس من بينهم من حمل بذور التكفير ؛ مندفعين من سجون مصر بالذات ؛ التي نشأت فيها بوادر التكفير أصلا بسبب التعذيب الجائر والظلم الظاهر الذي تبناه الرئيس المصري الأسبق ؛ جمال عبد الناصر وبطانته الظالمة أيام حكمه العسكري المتعسف وما تلاه..

٢- انحراف كثير من بلدان العالم الإسلامي عن تحكيم شرع الله تعالى في بلدانهم وتحكيمهم القوانين الوضعية ، وانفلات إعلامهم في صوره المتعددة نحو التهييج للفساد الجنسي والسياسي والمجتمعي وتمريره وتبريره ؛ مما أثار غيرة طائفة غير قليلة من الشباب ؛ فوجدوا فيها متمسكات للتكفير والتجريم والتفسيق والتبديع والتضليل ؛ فصال الغلاة منهم وجالوا ، وأنشؤوا تنظيمات بعضها سري ، وبعضها علني ، واختلط الغالي بغيره ؛ فكانت الأجواء الإقليمية والعالمية تسير بالأمور نحو التطرف والخروج على واقع بعض الأنظمة المستبدة خروجا باسم الإسلام وتحكيمه وتسييده ؛ كما في مصر والجزائر وليبيا واليمن وسوريا والعراق... ؛ ثم جمعتهم أفغانستان في بشاور للجهاد وإخراج الغزاة الروس ، وتعددت الأحزاب وانقسمت ، وكان أشدها الحزب الإسلامي بقيادة حكمت يار ، وأخيرا اجتمع سواد منهم تحت قيادة أسامة بن لادن – الذي غلا فيما بعد – وأيمن الظواهري ؛ حامل الفكر التكفيري من السجن المصري .

٣- تكالب الدول الغربية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية على حرب العراق وتدميره ؛ بعد الاجتياح الظالم من قبل صدام حسين للكويت ، وما أعقبه من تداعيات وانقسامات بين الدول ؛ فوجد الغلاة متكسكهم التكفيري لكل من أيد أمريكا على ضرب العراق ؛ على الرغم من أن فتوى هيئة كبار العلماء في هذا صريحة وواضحة وجلية ؛ بجواز الاستعانة بهم لدفع شر مستطير أعظم ؛ هو قريب ومنتظر ؛ من قبل جحافل صدام وطغيانه المتعاظم الساري وقتها ، والمتعدي إلى غير الكويت والمتوجه إلى السعودية بدلالة القرائن العسكرية والواقعية والسياسية وقتها ؛ ولكن الله بحكمته وفضله ولطفه سلم...

٤- بعد أن نشأت حكومة طالبان في أفغانستان ، وتمكن أسامة بن لادن فيها واستقبلت بارتياح جموعا من الشباب من بلدان كثيرة تحت تأثير أسامة نفسه وبقيادته مع عضده التكفيري الأيمن ؛ الطبيب أيمن الظواهري – نشأت فكرة قاعدة جهاد الصليبين وإخراجهم من بلاد المسلمين ؛ فاستباحوا التفجير لإخراج من كان من المشركين والنصارى – بزعمهم – من جزيرة العرب ؛ وخاصة ذوي المظهر العسكري ؛ من قواعد وجنود وغيرهم ؛ فوقعت تفجيرات العليا عام ١٤١٦ والخبر ؛ ثم مجمع المحيا ومجمع قرطبة فيما بعد ؛ واشتد النزال مع الأمريكان ومن في حكمهم من قبل القاعدة بعد الأحداث الخطيرة المدوية في ١١ سبتمبر ٢٠٠١م ؛ المتمثلة في تفجير برجي التجارة العالمي بنيويورك ، والبنتاجون بواشنطن ؛ فوقعت الضربة الأمريكية لأفغانستان ؛ فسقطت طالبان وطوردت ؛ ثم دكت أمريكا والتحالف الدولي معها العراق ؛ فأسقطت حكم صدام بذريعة حيازة نظامه لأسلحة الدمار الشامل ؛ فانفتح الباب للغلاة مشرعا ؛ إذ وجدوا خصوبة فكرية لهم ، وأرضا مفتوحة لأقدامهم في العراق ، ومتمسكا مقنعا لأتباعهم من جهلة المتحمسين من الشباب ؛ وتزعم قيادتهم أبو مصعب الزرقاوي التكفيري الأردني ؛ فتقاطروا عليه في القطر العراقي ، وأعجبوا بضرباته ، وصار النواة الأولى للدواعش ذوي الفكر التكفيري الحاد فيما بعد .

٥- بعد تسليم العراق لإيران من قبل أمريكا ؛ كما صرح بذلك في نيويورك - متأسفا - سمو الأمير سعود الفيصل قبل سنوات - انفلت زمام الأمن وتسلط غلاة الشيعة وأنشؤوا فيالق لتعذيب أهل السنة وتعقبهم في بغداد وفي مواطنهم الأصلية في الفلوجة والأنبار ، وجهات الغرب العراقي ، وصارت الحكومات العراقية المتعاقبة عراقية الوجه إيرانية المحتوى عنصرية المغزى ؛ فشعر أهل السنة بالظلم الفادح ، ونالهم السحق الماحق ؛ فذاع الأمر واستطار إعلاميا ؛ مما هيج الشباب في السعودية وغيرها ؛ كتونس والجزائر وسوريا وليبيا والمغرب والأقليات المسلمة.. فبدأت طلائعهم تتوجه نحو مواقع الجهاد في العراق لنصرة مستضعفي أهل السنة من فكي كماشة الرافضة الحاقدة ؛ العراقية والإيرانية .. .

٦- بعد قيام الثورة السورية قبل أربع سنوات ، وما أعقبها من تداعيات جهادية ووطنية وغيرها ؛ هاج الأمر في الشام وماج ، وانفتح الباب على مصراعيه لوفود الشباب ؛ ممن احترقوا غيرة من لهيب سياط شبكات النت ، ومواقع التهييج العنكبوتية ذات الغلاف الشرعي الجهادي ؛ معززة بالصور والبطولات الجهادية - فيما يبدو - من جهة ، والمظالم والفظائع التي يرتكبها النظام النصيري الحاقد من جهة أخرى ؛ فانجذب إلى الساحة السورية والعراقية جمع لا يستهان به من عموم شباب المسلمين عرب وعجم ؛ لقيام الداعي ، وتوافر الدواعي ، وتعدد المهيجات ، وكثرة المغريات ، واختلاط الحابل بالنابل ، ولم يعد بعضهم يعير قبولا ولا اهتماما بما يظهر بين آونة وأخرى من بيان علمائنا الصريح ؛ بعدم إجازتهم ذلك ، وتعاقب نصحهم بخطورة الأوضاع هناك ، واشتداد أمر الفتنة الضاربة ، وعظم البلية على بلادنا بالذات بسبب هذه المجازفات ذات التداعيات المصيرية البالغة الخطورة ، وأن الأمر والشر أكبر وراء الاندفاع لتلك الساحات الملتهبة ؛ لكن الواقع الهائج تغلب على عقل العقلاء ، وجهات الإفتاء ؛ من قبل شباب لا يرى إلا عبر الشبكات العنكبوتية غالبا .

٧- بعد نشوء "دولة الإسلام في العراق والشام" مؤخرا ؛ التي يرمز لها اختصارا ب " داعش " انحبكت الأمور ، ولمع السراب في أذهان كثير من الأغرار من الشباب ؛ فانخدعوا بها وبإعلامها البراق ، وانساق بعضهم سرا وجهارا يدعو للانضمام إليها والالتحاق بها ؛ على الرغم من شناعة أفعالها ، وخطورة انحرافها ، وشدة غلوائها وغلوها ، وبعدها عن سماحة الإسلام وهديه الرشيد العام ؛ لكن تسلط الحكام في العراق والشام ، واندفاع غلاة الشيعة وانحياز رموز الحكم الرافضي في إيران مع بشار الظالم ، وانخراط حزب نصر الله وأتباعه في الساحات القتالية الشامية ؛ ضد المستضعفين من أهل السنة ، وتفاقم أفعالهم الشنيعة في سوريا ولاجئيها في لبنان وأهل السنة من اللبنانيين.. كل ذلك أسهم في التحريك والتضليل والإغراء والتهييج وعمى البصيرة ؛ حتى قام الدواعش بتجييش من في قبضتهم الفكرية والقتالية من جهلة متحمسة الشباب ؛ ليكونوا قنابل متفجرة في المساجد والتجمعات وأقنعوهم جهلا وتزويرا ؛ باسم الجهاد ضد المشركين من الروافض أو من في حكمهم ؛ ممن كفروهم ، واستباحوا دماءهم ؛ من المسلمين ؛ حكاما ومحكومين ؛ فعمت البلية ، والتبست القضية عند رعاع الشباب ، وصاروا وقود فتنة عمية ؛ باسم إقامة دولة إسلامية ؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

٨- جرأة بعض وسائل الإعلام لدينا - المحسوبة على بلادنا من قريب أو بعيد - على بعض ثوابت الدين ؛ وذلك بفسحها مساحات واسعة من صفحاتها الصحفية ، وشاشاتها الفضائية ؛ لكثير من ذوي الأفكار المنحرفة ؛ فولغوا وأسفوا وجرؤوا ، وأثاروا الرأي العام المتحفظ ؛ ولم تفسح تلك الوسائل المجال للرد والبيان والمعالجة من ذوي العلم والفضل والاعتدال ؛ كما لم تكف فسادها ؛ بل تمادت واستأسدت ؛ فتململ من تململ ، وسكت من سكت ، وحوقل من حوقل ؛ فاستغل الغلاة والمهيجة مثل هذه الأوضاع الإعلامية غير المرضية ؛ فاجتزؤوها ودبلجوا بعضها ، ووظفوها إعلاميا ؛ لتكون غطاء شرعيا ، وحجة منطقية ؛ لتأسيس بذور الخروج على النظام ، والتفسيق العام وتكفير الأعيان ؛ مما سهل على الدواعش والقواعد تمرير التفسيق والتكفير في جرأة تعززها المظاهر الإعلامية السائدة ؛ فوقع في الفخ جمع من ذوي الحماس والتدين الغالي ؛ الذين لم يتسن لهم استيعاب الحكم الشرعي في هذه المسائل من جهة ، ولغلبة سلطان التقنية السريعة الناقلة لذلك بسهولة من جهة أخرى ؛ فاجتمعت تلك الأسباب عليهم ؛ فاضطربوا فكريا ، وتخبطوا نفسيا ، وتلقفهم من وظفهم وجيشهم لإصلاح الأوضاع الفاسدة في نظرهم ؛ بقوة التفجير والتغيير.. !!